محب لا يقدر

[الطويل]

أتحذَرُ وشك البينِ، أم لستَ تحذرُ؟
وذو الحذَرِ النّحريرُ[١] قد يتفكّرُ
ولستَ مُوَقًّى إن حَذِرْتَ قضيَّةً،
وليسَ مع المقدار[٢] يُكدي[٣] التهوّر
تذكّرتُ، إذ بانَ الخليطُ، زمانَهُ،
وقد يُسقِمُ المرءَ الصّحيحَ التذكّرُ
وكان ادّكاري شادِناً[٤] قد هَوِيتُهُ،
له مقلةٌ حوراءُ، فالعينُ تسحَرُ
كأنّيَ لمّا أنْ تولّت به النَّوى،
من الوَجدِ، مأمومُ الدّماغِ[٥]، مُحيَّر
إذا رمتُ عيني أن تُفيقَ من البُكا،
تبادر دمعي مُسْبِلاً يَتَحَدّرُ
لقد ساقني حَينٌ إلى الشّادنِ الذي
أضَرّ بنفسي أهلُه، حينَ هجّروا[٦]
ولو أنَّهُ، لا يُبعدُ اللَّهُ دارَهُ،
ولا زِلتُ منه حيثُ ألقى وأُخبَرُ
لقد كان حتفي يومَ بانوا بجؤذَرٍ[٧]،
عليه سِخابٌ[٨] فيه دُرٌّ وعنبرُ
فقلتُ: ألا أيّها الرّكْبُ، إنّني
بكم مستهامُ القلبِ[٩]، عانٍ[١٠]، مُشَهَّرُ

(١) النحرير: الذكيّ، الأريب.
(٢) المقدار: القدر والقضاء.
(٣) يُكدي: يُخفق.
(٤) الشادن: الغزال.
(٥) مأموم الدماغ: المصاب بشجة بلغت أمّ الدماغ حتى يبقى بينها وبين الدماغ جِلد رقيق.
(٦) هجّروا: ارتحلوا عند الهاجرة ظهراً مع اشتداد الحرّ.
(٧) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٨) السِّخاب، بكسر السين: القلادة.
(٩) مستهام القلب: هائم شديد العطش.
(١٠) عانٍ: أسير، مقيّد.

بَـلـي كـلُّ وُدٍّ كـانَ فـي الـنـاس قـبـلَـنـا،
ووُدّيَ لا يَـبـلـى ولا يـتـغـيّـرُ
فـقـالـوا: لـعـمـري، قـد عَـهـدنـاك حِـقْـبـةً،
وأنـتَ امـرؤ مِـن دونِ مـا جِـئـتَ تـخـطـرُ
وقـالـت لأتـرابٍ لـهـا، حـيـنَ عَـرّجـوا[1]
عـلـيّ قـلـيـلاً: إنّ ذا بـيَ يَـسـخـرُ
وقـالـتْ: أخـافُ الـغـدرَ مـنـهُ، وإنّـنـي
لأعـلَـمُ أيـضـاً أنّـه لـيـسَ يَـشـكُـرُ
فـقـلـتُ لـهـا: يـا هَـمَّ نـفـسـي ومُـنـيَـتـي،
ألا لا وبـيـتِ الـلَّـهِ، إنّـي مُـهـبَّـرُ[2]
مُـصـابٌ، عـمـيـدُ الـقـلـبِ[3]، أعـلَـمُ أنّـنـي،
إذا أنـا لـم ألـقـاكُـمُ، سـوفَ أَدمُـرُ
وشُـكـريَ أن لا أبـتـغـي بـكِ خُـلّـةً،
وكـيـفَ، وقـد عـذّبـتِ قـلـبـي، أغـدِرُ؟
وإنّـي، هـداكِ الـلَّـهُ، صَـرمـي سَـفـاهـةٌ،
وفـيـمَ، بـلا ذَنـبٍ أتـيـتـهِ، أهـجُـرُ؟
وقـد حـال دونَ الـكُـفْـرِ والـغـدرِ أنّـنـي
أُعـالـجُ نـفـسـاً، هـل تُـفـيـقُ وتـصـبِـرُ؟
فـقـالـت: فـإنّـا قـد بـذلـنـا لـكَ الـهـوى،
فـبـالـطّـائـرِ الـمـيـمـونِ تُـلـقـى وتُـحْـبَـرُ[4]
فـقـلـتُ لـهـا: إنْ كـنـتِ أهـلَ مـودَّةٍ،
فـمـيـعـادُ مـا بـيـنـي وبـيـنَـكِ عَـزْوَرُ[5]

(١) عرّجوا: عاجوا، مالوا.
(٢) مهبّر: مقطّع.
(٣) عميد القلب: مُضنى القلب مُوجعه.
(٤) تُحبر: تُسرّ.
(٥) عزور: جبل قرب مكة.

فـقـالـتْ: فـإنّـا قـد فَـعَـلْـنـا، وقـد بـدا
لـنـا، عـنـدمـا قـالـتْ، بَـنـانٌ ومِـحْـجَـرُ
فـرُنّـحَ[١] قـلـبـي فَـهـوَ يَـزعُـمُ أنَّـهُ
سيَـهْـلِـكُ قـبـلَ الـوعـدِ، أو سـوف يـفْـتـرُ

هجر

وقال في زينب بنت موسى الجمحية:

[مجزوء الوافر]

طـرِبْـتَ[٢]، وردّ مـن تـهـوى
جِـمـالَ الـحـيِّ، فـابـتـكـرا[٣]
فَـظـلْـتَ مُـكـفْـكِـفـاً دمـعـاً،
إذا نَـهْـنَـهْـتَـهُ[٤]، ابـتَـدَرَا
وبـتُّ، لـذاك، مـكـتـئـبـاً[٥]،
أُقـاسـي الـهـمّ والـسّـهَـرا
لِـبَـيْـنِ الـحـيِّ إذْ هـاجـوا
لـكَ الأحـزانَ والـذِّكَـرا
فـإنْ يـكُ حـبـلُ مَـن تَـهْـ
ـواهُ أمـسـى مـنـكَ مُـنـبَـتِـرا
فـقِـدمـاً كـنـتَ لا تـلـقـى
لـصـفـوٍ قـد مـضـى كَـدَرا
لـيـالـيَ لا أُبـالـي مَـنْ
لَـحـى[٦] فـي الـحـبِّ، أو عَـذَرا

(١) رنّح: أصيب بالدُّوار وتمايل سُكْراً.
(٢) ورد البيت في الأغاني ١: ١٠٠. وطربت: الخفّة أصابتني لشدّة حزني.
(٣) ابتكر: رحل مع الفجر باكراً. (٤) نهنه عن الشيء: كفّه وزجره.
(٥) مكتئباً: حزيناً.
(٦) لحى: لام.